الكتاب المدرسي وإعادة بناء التعلم:
نحو نموذج بيداغوجي جديد لتنفيذ المنهاج

الدكتور أشرف بن عبد القادر المرادي

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

الكتاب المدرسي وإعادة بناء التعلم: نحو نموذج بيداغوجي جديد لتنفيذ المنهاج

الدكتور أشرف بن عبد القادر المرادي
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، المغرب
achraf.mouradi@usmba.ac.ma
https://orcid.org/0009-0000-7071-0006

قدمت للنشر في 30/ 12/ 2025 قبلت للنشر في 15/ 2/ 2026

ملخص: يهدف هذا المقال إلى دراسة دور الكتاب المدرسي في تنفيذ المنهاج الدراسي في ضوء التحولات البيداغوجية المعاصرة القائمة على التعلم بالكفايات وجودة التعلمات. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن نجاح إصلاح المناهج لا يرتبط فقط بإعادة صياغة الوثائق الرسمية، بل يتوقف أساسا على طبيعة الوسيط التعليمي الذي يترجمها إلى ممارسة صفية، وفي مقدّمته الكتاب المدرسي. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ذي البعد التقويمي من خلال تحليل العلاقة بين المنهاج المعلن والمنهاج المنفذ، واستقراء الوظائف البيداغوجية للكتاب المدرسي ومدى انسجامه مع مبادئ التعلم النشط وبناء المعرفة.

وأظهرت النتائج أن الكتاب المدرسي ما يزال يشكّل المحدد الفعلي لمسار التعلم داخل الفصل، غير أن كثيرا من نماذجه لا تزال تعكس تصورا تقليديا قائما على نقل المعرفة، مما يحدّ من فاعلية الإصلاحات التربوية ويحول دون تحقيق الكفايات المستهدفة. كما بيّنت الدراسة أن تطوير الكتاب المدرسي وفق نموذج بيداغوجي جديد قائم على الوضعيات التعليمية، والتقويم التكويني، وتعدد الموارد، من شأنه تقليص الفجوة بين المنهاج النظري والتطبيق العملي. ويخلص المقال إلى أن إعادة بناء التعلم تمر أساسا عبر إعادة تعريف وظيفة الكتاب المدرسي من ناقل للمعرفة إلى موجّه لبنائها داخل سياق تعلمي تفاعلي.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

الكلمات المفتاحية: الكتاب المدرسي، المنهاج الدراسي، تنفيذ المنهاج، إصـــلاح المناهج، جودة التعلم.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

The Textbook and the Reconstruction of Learning: Toward a New Pedagogical Model for Curriculum Implementation

Dr Achraf bin Abdul Qadir Al-Mouradi
Professor of Secondary school, Morocco
achraf.mouradi@usmba.ac.ma
https://orcid.org/0009-0000-7071-0006

Received on December 30th 2025, Accepted on February 15th, 2026

Abstract: This article examines the role of the textbook in curriculum implementation in light of contemporary pedagogical shifts toward competency-based learning and learning quality. The study is based on the assumption that curriculum reform cannot be achieved solely through rewriting official curriculum documents, but depends primarily on the instructional medium that translates them into classroom practice, foremost among which is the textbook. A descriptive-analytical and evaluative approach was adopted to analyze the relationship between the intended curriculum and the implemented curriculum, as well as the pedagogical functions of textbooks and their alignment with active learning principles.

The findings indicate that the textbook remains the main determinant of classroom learning; however, many textbook models still reflect a traditional knowledge-transmission approach, which limits the effectiveness of educational reforms and prevents the achievement of targeted competencies. The study also shows that redesigning textbooks according to a new pedagogical model based on learning situations, formative assessment, and diversified resources can reduce the gap between theoretical curriculum and actual practice. The article concludes that reconstructing learning requires redefining the textbook's function from a transmitter of knowledge to a guide for knowledge construction within an interactive learning context.

Keywords: Textbook, Curriculum, Curriculum implementation, Curriculum reform, Learning quality.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

مقدمة

يشهد الحقل التربوي المعاصر تحولات عميقة مست فلسفة التعليم ووظائفه، حيث انتقل التركيز من نقل المعارف إلى بناء الكفايات وتنمية التفكير النقدي والقدرة على التعلم الذاتي مدى الحياة. وفي هذا الإطار أصبح المنهاج الدراسي منظومة تربوية متكاملة تتجاوز حدود المحتوى المعرفي لتشمل الأهداف والأنشطة والتقويم وطرائق التدريس والقيم المتضمنة في التعلم. غير أن تحقق هذه الفلسفة داخل الممارسة الصفية يظل مرتبطا بأداة تنفيذية أساسية هي الكتاب المدرسي، الذي يمثل الوسيط البيداغوجي الرئيس لترجمة المنهاج من وثيقة نظرية إلى تعلم فعلي داخل الفصل الدراسي.

وعلى الرغم من الإصلاحات المتتالية التي عرفتها الأنظمة التعليمية، ما تزال الممارسات الصفية في كثير من السياقات التعليمية تُظهر فجوة بين المنهاج المعلن والمنهاج المنفذ، حيث يتحول المنهاج القائم على الكفايات في التطبيق إلى تعلم معلوماتي قائم على الحفظ والتلقين. ويرتبط ذلك غالبا بطبيعة الكتاب المدرسي من حيث بناؤه الديداكتيكي، وتنظيم محتواه، ونوعية أنشطته، وأساليب التقويم التي يقترحها، إضافة إلى كيفية توظيفه من طرف الأستاذ والمتعلم. فكلما كان الكتاب المدرسي موجّها نحو المعرفة الجاهزة، ومركزا على الإجابات النموذجية، كلما أعاق تحقيق أهداف المنهاج، وكلما كان قائما على الوضعيات التعليمية وحل المشكلات، كلما أسهم في تنفيذ المنهاج كما خطط له.

وقد أكدت الأدبيات التربوية الحديثة هذه العلاقة الوظيفية بين المنهاج والكتاب المدرسي؛ إذ تشير الدراسات التقويمية إلى أن نجاح إصلاح المناهج لا يتحقق بمجرد تعديل الوثائق الرسمية، بل يتوقف على مدى ترجمة تلك الإصلاحات في الكتب المدرسية والوسائط التعليمية المعتمدة داخل القسم. كما بينت دراسات تحليل المحتوى أن كثيرا من الكتب المدرسية

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

ما تزال تعكس تصورا تقليديا للتعلم، وهو ما يحد من فاعلية الإصلاحات التربوية ويُبقي الممارسة الصفية ضمن نماذج تعليمية تقليدية. وفي المقابل أظهرت دراسات أخرى أن تطوير الكتاب المدرسي وفق معايير بيداغوجية حديثة يسهم في تحسين التعلمات وتقليص التعثر الدراسي ورفع جودة الأداء التعليمي.

إشكالية البحث

انطلاقا من ذلك، تتحدد إشكالية هذا البحث في فحص مدى إسهام الكتاب المدرسي في تنفيذ المنهاج الدراسي وتحقيق أهدافه، والكشف عن دوره في نجاح أو تعثر إصلاح المناهج وتحسين جودة التعلم. ويتفرع عن هذه الإشكالية تحليل العلاقة البيداغوجية بين المنهاج والكتاب المدرسي، ودرجة ترجمة الأهداف والكفايات إلى أنشطة تعليمية، وطبيعة توظيف الأستاذ له داخل القسم، ومدى ملاءمته لخصائص المتعلمين، ثم اقتراح معايير تطويره في ضوء متطلبات التعلم المعاصر.

ومن هنا تتحدد الإشكالية في السؤال المركزي الآتي:

إلى أي مدى يسهم الكتاب المدرسي في تنفيذ المنهاج الدراسي كما خُطط له، وما دوره في نجاح أو تعثر إصلاح المناهج وتحسين جودة التعلم؟

منهج البحث

ولمعالجة هذه الإشكالية يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي ذي البعد التقويمي، من خلال تحليل محتوى الكتاب المدرسي، واستقراء ممارسات توظيفه، ومقارنة المنهاج المعلن بالمنهاج المنفذ. ويهدف ذلك إلى تقديم تصور علمي لإصلاح الكتاب المدرسي باعتباره مدخلا أساسا لإنجاح إصلاح المناهج، إذ لا يمكن تحقيق جودة التعلم دون انسجام فعلي بين فلسفة المنهاج وأداة تطبيقه داخل الفصل الدراسي.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

الفرضيات

1. هناك علاقة مباشرة بين جودة الكتاب المدرسي ونجاح تنفيذ المنهاج الدراسي.
2. قصور الكتاب المدرسي يؤدي إلى تحويل المنهاج من منهاج كفايات إلى منهاج معلومات.
3. إصلاح المناهج لا ينجح دون إصلاح موازٍ للكتاب المدرسي وطرق توظيفه.

أهداف البحث

أ- الكشف عن دور الكتاب المدرسي في تنفيذ المنهاج.

ب- تحليل مواطن القوة والضعف في الكتاب المدرسي الحالي.

ج- اقتراح سبل إصلاح وتحسين المنهاج والكتاب المدرسي بما يخدم متطلبات العصر.

د- الاستفادة من التجارب الدولية لابتكار مواد تعليمية مرنة ومتفاعلة.

الدراسات السابقة

1. وزول يوسف، وبكاري طارق (2025). المنهاج الدراسي والكتاب المدرسي: مقاربة تقييمية. مجلة عطاء للدراسات والأبحاث، ص: 49–72. هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على العلاقة بين المنهاج والكتاب المدرسي وتحليل مدى مراعاة المؤلفين لمداخل المنهاج، واعتبرت تقييم الكتب المدرسية خطوة أساسية في إصلاح المنظومة التعليمية .
2. عليوة أمين، وبن قويدر خديجة (2022). أثر الكتاب المدرسي في نجاح العملية التعليمية. مجلة اللغة الوظيفية. المجلد9، العدد2، ص: 114–130. قدمت هذه

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

الدراسة تحليلا لدور الكتاب المدرسي كعنصر أساسي في العملية التعليمية، مستعرضة أهميته في تنظيم التعليم ودوره في بناء المعرفة لدى المتعلمين.

3. رهـمون محمد وغربي صباح (2023). الكتاب المدرسي وعلاقته بالتّعثر الدراسي لدى تلاميذ التعليم المتوسط. مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات. المجلد14، العدد1، ص: 29-42. تناولت هذه الدراسة علاقة خصائص الكتاب المدرسي بظاهرة التعثر الدراسي في التعليم المتوسط من وجهة نظر الأساتذة، مشيرة إلى أن قصور المحتوى والأهداف في الكتب يمكن أن يساهم في ضعف التحصيل.

1. تنفيذ المناهج والبعد السيكولوجي لعملية التدريس

تبرز في مرحلة تنفيذ المناهج أسئلة عديدة، ينبغي الإجابة عنها بوضوح، منها:

من سيحدد كيف سينفذ المنهاج؟

ما شروط التنفيذ الجيد؟

ما مواصفات من يقوم بعملية تنفيذ المنهاج في مختلف مستويات التعليم؟

كيف نتأكد أن ما نفذناه من منهاج سيكون متوافقا مع شروط الجودة، وملائما تماما مع الأهداف المرسومة؟

ما دور كل مكون أساسي في المؤسسة التعليمية؟

2. أدوار المكونات الرئيسة في العملية التعليمية / التعلمية

ترتبط جودة المنهاج بدرجة ملاءمته للأهداف المسطرة، وقد حدد كل من ريد (Raid) وشو (Show) (نقلا عن البيلاوي وآخرين، 2006) صفاته في العملية التعليمية بما يلي:

- المنهاج الدراسي مناسب لحاجات المؤسسة واهتمامها وأهدافها.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

- نظام التقويم يقيس بدقة مدى اكتساب الطلبة للمعلومات.
- نسبة احتفاظ عالية، ونسبة احتفاظ منخفضة.
- نسبة نجاح عالية أكثر من تلك التي تحرزها مقررات مرادفة بنوعية أقل، لهذا تقع على عاتق مكونات الإدارة بمستوياتها المختلفة مسؤوليات متعددة يمكن أن نحدد دور كل منها كالآتي:

أ- أدوار المؤسسات التربوية في تنفيذ المنهاج

- تخصيص بعض اجتماعات المجالس لمتابعة سير التدريسيات وتنفيذ المنهاج.
- توفير الإمكانات المادية واللوجستية لوسائل التعلم ومصادر المعرفة.
- الحرص على توفير المناخ الملائم للعملية التعليمية / التعلمية من خلال تنظيم بيئة التعلمات كقاعات المطالعة والمختبرات...
- تجميع ملاحظات المدرسين (في إطار المجالس التعليمية) وإيلائها ما تستحق من عناية واهتمام من لدن المسؤولين الإقليميين الجهويين والمركزيين.
- دعم البحوث والدراسات المهتمة بالشأن التربوي، من أجل تطوير المناهج المنفذة.
- حث المدرسين على الاهتمام بالجانب التطبيقي في المنهاج، ومحاولة التأكيد على ربط المعارف والخبرات النظرية بمشكلات المجتمع.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

ب- أدوار هيئة التدريس في تنفيذ المنهاج

يتحمل المدرسون العبء الأكبر في عملية تنفيذ المنهاج، إذ يتحدد دورهم في مسؤولية إيصال المادة العلمية بأمانة وفاعلية وعدالة لجميع الطلبة، وهو أمر غير هين يتطلب جهدا وخبرة، إضافة إلى المتابعة العلمية المستمرة، ما يعني توفر الكفايات الآتية:

- كفايات مهنية (إدراك لطرق التدريس وأساليب اختبار وتقويم تلك الطرق، ثم أساليب التعامل مع المتعلمين ومراعاة الفروق الفردية).
- كفايات تخصصية في أسلوب توزيع المحتوى التخصصي وتوظيفه تبعا للخبرات المطلوبة مع مراعاة جوانب الملاءمة والتوازن الزمني... (الخضر، 2010).

3. تعريف الكتاب المدرسي

أداة مطبوعة، مبنية على نحو قصدي، بحيث تندرج ضمن سيرورة تعلم ما لأجل تحسين نجاعته. وله خواص مميزة عديدة منها: يؤدي وظائف مختلفة متصلة بالتعلمات. ينصب على أهداف تعلمية مختلفة يقترح أنواعا ومستويات مختلفة من الأنشطة التي يظن فيها خدمة التعلم (العماري، 2010).

تُعَرَّفُ الكتب المدرسية بأنها "الكتب الموجهة لخدمة مقررات دراسية معينة حيث تشتمل هذه الكتب على الحقائق الأساسية التي استقرت في مجالاتها لتكون ما يسمى برصيد المعرفة في هذه المجالات، والهدف من هذه الكتب تعليمي في المقام الأول ومن ثم فإنها بالإضافة إلى تفاوت مستويات المعالجة فيها بما يتناسب ومستويات الدارسين، وتتسم أيضا بالانتقاء بحيث يركز كل كتاب على وحدات موضوعية معينة يغطيها منهج دراسي بعينه" (حشمت، 1993).

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

4. أهمية الكتاب المدرسي

والكتاب المدرسي في المؤسسة التربوية أهم مصدر تعليمي، لأنه يمثل أكبر قدر من المنهاج التربوي المقرر، ويوفر أعلى مستوى من الخبرات التعلمية الموجهة لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة، لذا فهو يمثل مكانة مركزية في النظام التربوي عامة، وفي نظامنا التعليمي خاصة.

يشكل الكتاب المدرسي أحد أنواع المصادر وهو مهم جدا في سياقات متعددة. ففي البلدان النامية، قد تكون الكتب المدرسية مقررات دراسية، وإلى جانب الأستاذ، قد تعتبر الأداة الأهم للمتعلمين كي يكتسبوا المعارف والمهارات .وقد تشكل أيضا المصدر الوحيد الذي يملكه الأستاذ للحصول على المعلومات حول المنهج، كما أن الكتب المدرسية هي الكتب الوحيدة الموجودة في منزل طفل عادي وهي مصدر القراءة الرئيسي للمتعلم (الإيسيسكو، 2014).

رغم أهمية الكتاب المدرسي في عمليتي التعليم والتعلم فلا يمكن أن يعتبر طريقة تدريسية مستقلة بذاتها تعرف بطريقة الكتاب. ولا يمكن أن يحل محل الأستاذ في كل شيء. وإنما هو مجرد وسيلة معينة من وسائل التعليم الأساسية التي قد يلجأ إليها الأستاذ في معظم ألوان التدريس لجعل نشاطه الصفي أكثر فاعلية وحيوية فهو قد يستخدم ما في الكتاب من معلومات وخبرات وأسئلة محورا للنقاش والحوار والدراسة الذاتية، والتطبيق، أو إقامة المشاريع إلى غير ذلك من ألوان النشاط الذاتي والجماعي.

فالكتاب المدرسي خادم للمدرس وليس سيدا له. وهو وسيلة للتعليم وليس غرضا في ذاته.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

5. الكتاب المدرسي والمنهاج الدراسي

يمثل الكتاب المدرسي الأداة التنفيذية الأكثر حضورا في ترجمة المنهاج إلى ممارسة صفية فعلية (وزول، بكاري، 2023)، ولهذا فأي خلل في إعداده أو إنتاجه من المواصفات (المحتوى – الشكل – الأهداف...) من شأنه أن يجني على أجيال من الناشئة، خصوصا في غياب الرؤية الناقدة والاستعمال الواعي من لدن فئة من المدرسين.

فقيمة المنهاج لا تتحدد بما يتضمنه من أهداف نظرية فحسب، بل بمدى تجسده في الوسائط التعليمية المعتمدة داخل القسم، وفي مقدمتها الكتاب المدرسي (Oliva & Gordon, 2013).

وتأليف كتاب ما في فن من الفنون الإنسانية كالآداب، والفلسفة، والاجتماع، والطب، والفيزياء، والكيمياء، إلخ... أهون وأيسر من تأليف كتاب مدرسي، ذلك أن هذا الأخير يهدف إلى تشكيل أو إعادة تشكيل فئة فتية، وإدخالها في قالب معين محدد سلفا، تسعى كل أمة من خلاله إلى إنتاج الأنموذج المرتجى لديها لحمل مشعل الحضارة التي ترمي إليها.

لذا فهذه الوسيلة – الفعالة – لتصريف المنهاج لابد أن يتصف بأكبر قدر ممكن من المواصفات العلمية حتى يحقق الأهداف المرجوة.

6. مواصفات الكتاب المدرسي

أ- مراعاة خصائص المتعلمين

يقصد بذلك أن تراعى عند تأليفه الخصائص النفسية، والفسيولوجية، والعمرية، والاجتماعية للمتعلم. وهذا ما يتطلب من القائمين على التأليف أن يمتحوا من حقول معرفية

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

كثيرة ومتنوعة كعلم النفس بتفريعاته، والبيولوجيا، وعلوم التربية بمدارسها المختلفة، وعلم الاجتماع بتلاوينه، والمناهج...

ب- بنية ومكونات خاصة (الخوالدة، 2011):

ب-1 للكتاب المدرسي – من حيث هو مادة تعليمية مكتوبة – سمات أساسية نجملها فيما يلي:

- هو ترجمة صادقة للمنهاج التربوي، لذا عليه ان ينطلق من التوجهات والاختيارات الكبرى للدولة، وذلك باختيار المادة التعليمية المناسبة، واحترام المقاربات المعتمدة في التدريس.
- مساعدة المتعلمين على اكتساب الأهداف التعليمية المسطرة.
- تلبية احتياجات المتعلمين ضمن نطاق واقعهم الحياتي والمهني.
- إثارة اهتمام المتعلمين من خلال المضامين لكي يتفاعل ايجابيا قصد تحقيق الأهداف المنشودة.

ب-2 شكل المقدمة:

- ينبغي ان تشتمل المقدمة على تصور واضح لطبيعة المادة التعليمية، وقيمتها.
- ينبغي أن يتوجه الخطاب فيها للمتعلم والمدرس.
- تبصير المتعلم بالأهداف التعليمية، أو الكفايات المستهدفة.
- بيان الأسس النفسية والتربوية المعتمدة في اختيار المحتوى.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

- بيان طبيعة المادة التعليمية في الكتاب المدرسي، وقيمتها العلمية، وارتباطها بالمواد التعليمية الأخرى.
- تقديم الإرشادات للمدرس من أجل استخدام تربوي أمثل للكتاب المدرسي.
- التعريف بمضمون الكتاب وبما يشتمل عليه من وحدات أو مكونات، والأسس المنطقية التي تمت مراعاتها في ترتيبها، وكذا الجدولة الزمنية للتنفيذ.
- تنبيه المدرس والتلميذ إلى كون مادة الكتاب المدرسي هي الحد الأدنى، وتحفيزه على الإفادة من المصادر التعليمية الأخرى.

ب-3 الأهداف التعليمية:

يفترض ان يشتمل الكتاب التعليمي على الأهداف النوعية والخاصة بكل وحدة أو مكون تعليمي، ويشترط أن تتصف بما يلي:

- الاتساق مع الأهداف العامة الواردة في المقدمة.
- صياغة الأهداف صياغة سلوكية تدور حول المتعلم.
- مراعاة الأهداف للأنشطة المطلوب من المتعلم فعلها سواء على المستوى المعرفي، أو الوجداني، أو الحس حركي.

ب-4 المحتوى الدراسي:

- يتم تصميم المحتوى وفق المعايير التالية:
- اختيار المحتوى العلمي وفق الأهداف العامة المسطرة.
- ربط المادة التعليمية بواقع التلميذ محليا ووطنيا ودوليا.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

- تكامل المحتويات بين مواد الكتب المدرسية.
- قابلية المادة التعليمية للتنفيذ والتطبيق.
- ضرورة الانسجام بين المادة التعليمية والإطار الزمني المخصص للتنفيذ.

ب-5 تنظيم وحدات الكتاب المدرسي، بحيث تحتوي على العناصر التالية: مقدمة، المفهوم الأساسي، المفاهيم الفرعية، أسئلة التقويم، المشروعات الفردية والجماعية، الأنشطة التعلمية الصفية وغير الصفية.

ب-6 معايير عرض المادة التعليمية:

- الموازنة بين الكم والكيف.
- التزام الموضوعية في عرض المادة، وترك الاختيار للمتعلم لتبني الموقف المناسب.
- العرض بلغة سليمة بعيدة عن التعقيد لتيسير تواصل المتعلم مع المادة التعليمية، مع شرح للمصطلحات غير الشائعة.
- ملائمة الواقع الثقافي والاجتماعي للتلاميذ، فالأطفال الذين يعيشون في بيئة غنية ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا أو في أسر توفر فرص الاتصال بالمواد المطبوعة (كتب – صحف – مجلات) وفرص لمشاهدة الأفلام والصور والمسرحيات والرسوم، يختلفون في أرضياتهم وخبراتهم وثقافاتهم العامة عن أطفال يعيشون في بيئة أو مجتمع لا تتوافر لهم فيه مثل هذه الفرص.
- عرض المادة التعليمية وفق مبادئ التعلم الذاتي.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

- اشتمال العرض على نماذج تطبيقية لينسج المتعلم على منوالها.
- أن يستهدف العرض مهارات وقدرات وكفايات المتعلم المختلفة من خلال المناقشة والاستنتاج، والاستقراء، وابداء الرأي، والتحليل والتركيب.
- أن تشتمل المادة التعليمية على الرسومات والأشكال التوضيحية، والمصادر والمراجع.
- توثيق مضامين المادة بوضع فهرس للمصادر والمراجع المعتمدة.

ج- إنتاج الكتاب المدرسي وإخراجه:

يشكل الإخراج الفني للكتاب المدرسي مرحلة مهمة، لكونه عاملا مهما في إثارة انتباه المتعلم، وفتح شهيته للإقبال عليه، لذلك ينبغي ان تختار بعناية فائقة الرموز والأشكال والصور والرسوم...

كما ينبغي أن يكون الغلاف من الورق المقوى، وصوره ورسوماته سهلة ومعبرة. بالإضافة إلى الشكل والمساحة ونوع الورق، والطباعة ولونها، وأن يكون عنوان الكتاب وأسماء لجنة التأليف واضحة، وكذا اسم الناشر وسنة النشر، ورقم تصنيف الكتاب...الخ.

وعلى العموم يتم الالتزام في تأليف الكتاب المدرسي بما يرد في دفتر التحملات الذي تصدره الهيئات الوصية على القطاع.

7. الكتاب المدرسي ودليل المدرس

توفر معظم وزارات التربية في الدول المتقدمة عددا من الوسائل المعينة المطبوعة لأساتذة الصفوف الأولية بالإضافة إلى كتاب (دليل المدرس)، وكتب (التطبيقات والتمارين)، وكتب

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

(الأعمال والأشغال)، وكتب (الأسئلة والاختبارات)، إلى غير ذلك من الوسائل المعينة التي من شأنها مساعدة الأستاذ وإعانته على استخدام الكتاب المدرسي استخداما مثمرا وفعالا.

إن دليل المدرس يشكل مكمّلا بيداغوجيا للكتاب المدرسي، إذ يوضح طرائق استثماره ويحوّل محتواه من مادة للعرض إلى أداة لبناء التعلم (عطية، 2015). وغياب التنسيق بينها يؤدي إلى اختلاف في تنفيذ المنهاج بين الأساتذة، ويُضعف توحيد الممارسة الصفية (Richards, 2017).

8. تجريب الكتاب المدرسي

يشكّل تجريب الكتاب المدرسي مرحلة وسيطة بين التأليف والتنفيذ، إذ يُمكّن من التحقق من قابلية المنهاج للتطبيق الفعلي داخل القسم، ويحول دون انتقال اختلالات التصميم إلى الممارسة الصفية، وهو ما يجعل التقويم القبلي شرطا لضمان جودة التعلم، وإمكانية تنفيذه داخل الزمن المدرسي الفعلي(Oliva & Gordon, 2013) . فقبل أن يوضع الكتاب المدرسي الجديد موضع التنفيذ، وقبل أن يطبع ويوزع على المدارس بصورة رسمية للتداول والاستعمال يجب أن يجرب ذلك الكتاب لمدة تزيد عن عام دراسي، ويفضل أن توزع من نسخ هذا الكتاب الذي هو تحت التجريب على مجموعة من المدارس والمدرسين؛ ليطلعوا عليه لإبداء ملحوظاتهم وآرائهم. إن غياب مرحلة التجريب يؤدي غالبا إلى ظهور صعوبات ديداكتيكية أثناء التنفيذ، مما يضطر الأستاذ إلى تعديل المحتوى أو تجاوزه داخل الممارسة الصفية (زيتون، 2010).

هذا، وإن الردود الفورية للأساتذة والمدارس على الكتاب المدرسي الجديد سواء أكانت إيجابية أم سلبية لا تعطي سوى فكرة عامة عن ذلك الكتاب لذا فمن المفضل أن تظل مسودة الكتاب في ميدان التطبيق التجريبي (3 أعوام) ثم تجمع الآراء والأحكام عن طريق الاستفسارات أو الزيارات الخاصة لمدارس التجربة لاكتشاف المحاسن أو المساوئ في ضوء

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

الخبرات الصفية. وبعد انتهاء مدة التجريب هذه وحذف أو إدخال ما يمكن إدخاله من التعديلات والتنقيحات كي يصبح ملائما للصف الذي وضع من أجله، ثم يعاد طبعه في صورته النهائية (Kanner 1983 p:30).

9. تطوير الكتب المدرسية

نظرا لتطور العلم المتسارع في عالمنا فإن بعض الكتب المدرسية يمكن أن تفقد الصدق أثناء طباعتها لذا فإنه يجب أن يبذل قصارى الجهد للتأكد من أن المعلومات الموجودة في الكتاب المدرسي تتفق مع الحقائق وأنها حديثة فيما يتعلق بالإحصاءات والنظريات العلمية (المؤتمر الدولي الأول للتعليم 1960: صفحة: 403).

يجب أن تكون الكتب المتوافرة للمدارس دقيقة وأن تحوي معلومات محدثة .وقبل الالتزام بكتب جديدة، من الضروري تفحص مجموعة من المسائل المتعلقة بالتخطيط والسياسات بكل تفاصيلها، للحرص على استخدام الموارد بكفاءة ولضمان أفضل نوعية ممكنة (الإيسيسكو، 2014).

عادة ما تشكل مراجعة الكتب المدرسية جزءا من عملية وضع المنهج الدراسي وتؤيد إدخال محتوى (تعلم) ومنهجية جديدين ومحدثين. وبالتالي، في حال وجود قطاع خاص للناشرين، يجب أن تكون المراجعة جزءا من دورة مخطط لها لكي يتم تشجيع ناشري الكتب على الاستثمار في دعم ومناصرة منهج دراسي جديد.

في حال وجود مبادرات ممولة من طرف مانح خارجي لتطوير الكتب المدرسية، من المحتمل أن يصر المانحون على إجراء مناقصة دولية تنافسية .لكن هذا قد يولد خطر توجيه الأموال المخصصة للكتب المدرسية إلى خارج البلد المتلقي.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

وعلى العكس، يساعد التعاون والنشر المشترك في عملية الانتقال إلى التوفير المستدام والتنافسي للكتب المدرسية والمواد التعلمية الأخرى .وقد يجري التعاون على صعيد بلد واحد من خلال تكييف كتاب مدرسي أعده بلد آخر، أو قد يأخذ التعاون شكل مشروع مشترك بين دار نشر محلية وناشر دولي قوي في بلد متطور .ويشمل ذلك تبادل المعارف والخبرات والمهارات المتعلقة بالنشر، بالإضافة إلى رأس المال (الايسيسكو، 2014).

10. إصلاح البرامج التربوية وتحسينها

تعتبر مراحل التعليم هي الينابيع التي يستقي منها الفرد مقومات الشخصية، وطرق تفكيره ويبنى من خلالها مفهوما عن الذات، يتم ذلك كله عن طريق تعلمه داخل المدرسة وخارجها، ولما كانت المناهج الدراسية هي أداة المدرسة لبناء الفرد، فإن هذه المناهج قد طرأت عليها تغيرات تعد انعكاسات لتطور حركة الفكر التربوي بمختلف مظاهره واتجاهاته، وكلما تعرض مجال المناهج لمثل هذه التغيرات كلما أدعى النظر إلى المناهج السائدة في المدارس.

وموضوع المناهج هام واسع ومتباين في دراسته، فلقد كان وضع المناهج قديما لا يتطلب أكثر من الرجوع إلى كتب التخصص وتحديد موضوعات الدراسة لكل مرحلة.

كما يشكل المنهج التربوي تفاعل عوامل مختلفة: المجتمع بأوضاعه السياسية والاقتصادية، والتلاميذ وثقافتهم، ومن هنا كان التفكير في إصلاح المنهج التربوي يستدعي التغيير إلى ما هو أفضل بالنسبة للأهداف والمحتوى وعمليات التعلم والتعليم وتفاعل العوامل المختلفة.

ومع تقدم المجال التربوي والعلم أصبح على المشتغلين في ميدان المناهج أن يلموا بمختلف المعارف منها: نمو التلاميذ وحاجاتهم، وبيئتهم وتنظيمات المواد ومجالاتها الأساسية وتطوراتها الحديثة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

إن إصلح المناهج لا يتحقق بإعادة صياغة الوثائق الرسمية فقط، بل يستلزم إعادة بناء الكتاب المدرسي باعتباره الأداة التطبيقية للمنهاج (Oliva & Gordon, 2013).

11. التوجهات الدولية فيما يتعلق بإصلاح المناهج الدراسية

جاء في الحقيبة التربوية الصادرة عن الإيسيسكو سنة 2014:

تدد ثلاثة منظورات حول التغيير (Hargreaves et al.2001 ، 2001 وHouse،1979) العناصر الأساسية والضرورية لتطبيق التغيير التعليمي بنجاح:

- المنظور التقني: إن التخطيط النوعي ومقاربة التطبيق بطريقة منطقية يحلان المشاكل التي قد يواجهها الأساتذة.
- المنظور الثقافي: تحدد معتقدات الفاعلين وقيمهم ما يحدث فعليا في الصفوف...فالتطبيق الناجح يتطلب تغييرا ثقافيا.
- المنظور السياسي: لا يتصرف الناس دائما بعقلانية ومنطق لذلك يشكل توازن القوى بين الفاعلين ضمانة للنجاح.

تجنى ثمار أرض الابتكار الخصبة عبر توافق القرارات السياسية التي تكرس التغيير والاستخدام الذكي لمعارف مطوري المناهج. لكنّ هذين العاملين وحدهما غير كافيين لاستدامة الابتكار. فعلى سبيل المثال، ستطرأ دائما نزاعات تستنزف كمية ملحوظة من الموارد التنظيمية والسياسية وفقا للضغط الذي يمارسه المجتمع ككل والمجموعات السياسية في كل بلد في وقت معين.

في معظم الحالات، يشكل تطوير المناهج الدراسية المعاصر عملية ديناميكية تضم عددا كبيرا من الأشخاص الذين غالبا ما تختلف أولوياتهم ومصالحهم وحاجاتهم .وفعليا، كثيرا ما

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

يُستخدم تطوير المناهج للتركيز بطريقة شبه حصرية على وثائق المناهج من دون تدخّل ملحوظ من المعدّين أو المتعلمين .غير أن المحادثات حول غايات كل مستوى من مستويات النظام التعليمي تتطلب مشاركة من الفاعلين لأن أي تغيير يحصل سيؤثر في حياتهم اليومية.

تقتضي الصياغة الناجحة لسياسة المنهج الدراسي وتصميمه بشكل مناسب وتطبيقه بشكل ناجح إدراكا كاملا بما يلي:

- الأمور الموائمة للمتعلم.
- الأمور الموائمة للأهداف السياسية في البلد.
- الأمور الموائمة بالنظر إلى الاتجاهات العالمية.
- الأمور الموائمة للجهات المعنية الأخرى كالجامعات وأرباب العمل.

نادرا ما يتم دمج المساهمات الخاصة بالمتعلمين في عملية تطوير المناهج الدراسية .حيث تختلف أولويات رجال السياسة وأرباب العمل عن أولويات الأساتذة وأولياء الأمور وقد تختلف أيضا الأولويات داخل المجموعة الواحدة .ويمكن القول إن لكل مجموعة مصلحة شرعية فيما يجب إدراجه في المنهج وفي تحديد نتائج المنهج بشكل خاص .

وتجدر الإشارة إلى أن فهما واضحا للسياق التعليمي والمجالات الأخرى المتعلقة به؛ يوفر توجيهات مهمة لعملية التطوير. وقد تشكل هذه التوجيهات معيارا لضمان النوعية خلال عمليات تطوير المناهج الدراسية وتطبيقها.

ما من بلدين أو نظامين يطوران المناهج الدراسية بالطريقة عينها، إذ تتأثر عمليات التطوير في كل بلد بمجموعة من العوامل السياقية .لكن تغيير المنهج يتحول اليوم أكثر فأكثر إلى عملية تعاونية لا تلعب فيها السلطات التعليمية بالضرورة دور الريادة (الإيسيسكو، 2014).

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

من أهم مميزات المنهاج الدراسي في الأدبيات التربوية الحديثة المرونة، بحيث تمكن المنظومة التعليمية من:

أ- التأقلم مع حاجيات المجتمع الحالية والمستقبلية في ميدان التربية.

ب- توجيه مستقبل البلاد نحو الغايات التي تسمو إليها.

ج- جعل المدرسة فضاء لتطوير ولتكييف المجتمع من خلال التربية مدى الحياة1.

يحدد المكتب الدولي للتربية (BIE - UNESCO) سيرورة إنتاج/تغيير منهاج دراسي من خلال سبع حلقات:

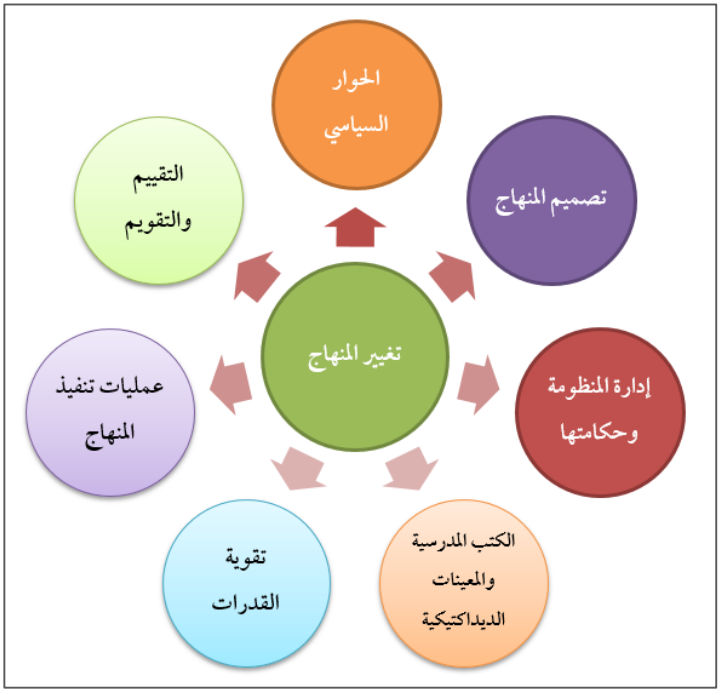

[1]– distinctions à poser Jonnaert, Ph (2006) Curriculum et programme d'étude Québec: PUQ.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى دراسة موقع الكتاب المدرسي داخل المنظومة التعليمية بوصفه الأداة التنفيذية الرئيسة للمنهاج الدراسي، والكشف عن مدى إسهامه في تحقيق أهداف الإصلاح التربوي وتحسين جودة التعلم. وقد أظهر التحليل النظري والتقويمي أن العلاقة بين المنهاج والكتاب المدرسي علاقة عضوية؛ إذ لا يكتسب المنهاج قيمته التربوية إلا بقدر ما يُترجم في ممارسات صفية فعلية، والكتاب المدرسي هو الوسيط الأكثر تأثيرا في هذه الترجمة.

الخلاصات والنتائج

1. مركزية الكتاب المدرسي في تنفيذ المنهاج: تبيّن أن الكتاب المدرسي لا يزال المرجع الأساسي في التخطيط للتدريس وتنظيم التعلمات، ما يجعله المحدد الفعلي لما يتعلمه التلميذ، بصرف النظر عن التصورات النظرية للمنهاج.
2. وجود فجوة بين المنهاج المعلن والمنهاج المنفذ: كشفت الدراسة أن العديد من الكتب المدرسية ما تزال تقدم المعرفة في صورة جاهزة، وهو ما يؤدي إلى تحويل المنهاج القائم على الكفايات إلى تعلم قائم على التلقين والحفظ.
3. تأثير البناء البيداغوجي للكتاب في جودة التعلم كلما تضمن الكتاب وضعيات تعلمية وأنشطة بحث وتقصٍ وتقويما تكوينيا، زادت قدرته على تنمية مهارات التفكير، وكلما اقتصر على التمارين المغلقة والأسئلة المباشرة، ضعف أثره التربوي.
4. ارتباط نجاح إصلاح المناهج بإصلاح الكتاب المدرسي: أثبتت النتائج أن تحديث الوثائق الرسمية للمنهاج لا يكفي لإنجاح الإصلاح، بل يتوقف نجاحه على انسجام الكتب المدرسية مع فلسفة الإصلاح ومداخل التعلم الحديثة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

5. دور الممارسة الصفية في توجيه وظيفة الكتاب: لا يعمل الكتاب المدرسي بمعزل عن الأستاذ؛ إذ إن طريقة توظيفه قد تحوله إما إلى أداة لتنمية التعلم النشط أو إلى وسيلة لتكريس التلقين.

التوصيات

انطلاقا من النتائج السابقة، يقترح البحث ما يلي:

1. إعادة بناء الكتاب المدرسي وفق مدخل الكفايات:
   - إدماج وضعيات مركبة وحل المشكلات.
   - تقليص المعرفة الجاهزة لصالح التعلم بالاكتشاف.
   - تنويع أساليب التقويم التكويني.
2. اعتماد معايير جودة علمية في تأليف الكتب المدرسية تشمل: التدرج المعرفي، مراعاة الفروق الفردية، التكامل بين المعارف والمهارات والقيم، والانسجام مع أهداف المنهاج.
3. إشراك الأساتذة والمشرفين التربويين في تأليف وتقويم الكتب لأنهم الأكثر معرفة بواقع التطبيق الميداني وقدرتهم أكبر على تحديد صعوبات التعلم الحقيقية.
4. الانتقال إلى نموذج الكتاب المدرسي المرن عبر دعم النسخ الرقمية والموارد التفاعلية، وربط الكتاب بوسائط تعليمية متعددة.
5. تكوين الأساتذة في بيداغوجيا توظيف الكتاب المدرسي بحيث يصبح الكتاب موردا للتعلم وليس برنامجا مغلقا للتنفيذ.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

6. إقرار تقويم دوري للكتب المدرسية يعتمد مؤشرات علمية لقياس أثرها على التعلمات، وليس فقط سلامة محتواها المعرفي.

خلاصة ختامية

يتضح أن إصلاح المناهج التعليمية لا يتحقق بإعادة صياغة الأهداف والوثائق الرسمية فحسب، بل يتطلب إعادة النظر في الوسيط الذي يجسدها داخل القسم، أي الكتاب المدرسي. فكل إصلاح لا يصل إلى هذا المستوى التطبيقي يظل إصلاحا نظريا محدود الأثر، في حين يشكل تطوير الكتاب المدرسي مدخلا استراتيجيا لتحسين جودة التعليم وضمان انتقال المنهاج من مستوى التصور إلى مستوى الممارسة التربوية الفعلية.

- التمويل: لم يتلقَّ هذا البحث أي تمويل من أي جهة حكومية أو خاصة أو غير ربحية.

- تعارض المصالح: يصرّح الباحث بعدم وجود أي تعارض مصالح يتعلق بنشر هذا المقال.

- الاعتبارات الأخلاقية: الدراسة نظرية تحليلية ولا تتضمن بيانات شخصية أو تجارب على مشاركين تتطلب موافقة أخلاقية.

- مساهمة الباحث: الباحث مسؤول منفردا عن إعداد البحث وتحليله وكتابته.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

المراجع

الايسيسكو (2014). أدوات تدريب لتطوير المناهج الدراسية، جنيف، الحقيبة التربوية.

عطية، محسن علي (2015) .المناهج الحديثة وطرائق التدريس .دار المناهج للنشر والتوزيع.

العماري يوسف، الكتاب المدرسي والوسائط التعليمية. دفاتر التربية والتكوين. شتنبر 2010، العدد3.

رهـمون محمد وغربي صباح (2023). الكتاب المدرسي وعلاقته بالتّعثر الدراسي لدى تلاميذ التعليم المتوسط. مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات. المجلد14، العدد1.

عليوة أمين، وبن قويدر خديجة (2022). أثر الكتاب المدرسي في نجاح العملية التعليمية. مجلة اللغة الوظيفية. المجلد9، العدد2.

قاسم حشمت (1993). البحث والمكتبة. ط2، القاهرة: مكتبة غريب.

محمد محمود الخوالدة (2011). أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي. عمان: دار المسيرة.

وزول يوسف، وبكاري طارق (2025). المنهاج الدراسي والكتاب المدرسي: مقاربة تقييمية. مجلة عطاء للدراسات والأبحاث.

وليد خضر الزند وهاني حتمل عبيدات (2010). المناهج التعليمية: تصميمها، تنفيذها، تقويمها، تطويرها، الأردن: عالم الكتب الحديثة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5

References

Distinctions à poser Jonnaert ‹Ph (2006) Curriculum et programme d'étude Québec: PUQ

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.9.2.5